الرسالة العامة الخالدة

(أ) دلائل النبوة المحمدية

- شبهات المكذبين بالقرآن
- شبهات المكذبين بالرسول
- شرف الحق وفساد الهوى
- الحق المبرأ
- دعوة إلى الصراط المستقيم
- التمادى فى الطغيان
- الوقائع تتكلم

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٦٨ – ٧٧.

شبهات المكذبين بالقرآن

قال الله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٦٨.

تتعقب هذه الآية شبهات المكذبين، وتدعوهم إلى الإنصاف فى الحكم، والولاء للحق بعد أن سطعت أنواره وظهر الصبح لكل ذى عينين..

وقد استقصت هذه الآية وما تلاها كافة ما يمكن أن يحجب عقولهم عن الإيمان بالرسالة والرسول..

ولنبدأ بآيتنا هذه ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾.

والمراد بالقول هنا القرآن المجيد، فهل تدبروا القرآن ثم وجدوا فيه مطعنا صرفهم عن الإيمان؟

إن القرآن مركب من حروف كلماتهم العربية، ومع ذلك عجزوا عن المعارضة وأقروا بسمو بلاغته وعلو فصاحته..

إن القرآن يتنزل فيهم ليل نهار، يبين لهم حقائق الوجود العليا، وعقائد الدين الصحيح، وفضائل الخلق العظيم، ومسالك البر والمعروف..

فلو تدبر هؤلاء المكذبون القرآن حق التدبر لسابقوا إلى الإيمان به ولسارعوا إلى الدفاع عنه، ولبذلوا النفس والنفيس فى سبيل إعلاء كلمته..

ثـم تعرض الآية لجانب ثان، هـو: ﴿ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾..

هل نزول الوحى على محمد ﷺ، واصطفاء الله له بدع من الأمر؟!

إن النبـوة كانـت فى مكة علـى عهد إسماعيل بـن إبراهيم عليهما السـلام، وكان هود وصالح نبيين كريمين لقبيلتى عاد وثمود، ويتجاور العرب مع اليهود أتباع موسى، والنصارى أتباع عيسى فى اليمن ويثرب ويمرون عليهم فى رحلة الشتاء والصيف.

وقـد كان العـرب يتمنون الرسـالة والنبوة ويعلقـون عليها هداية حياتهم فلما تحقق لهم ذلك عتوا عتوا كبيرا.. وجاء فى أسباب النزول أن قريشـا كانت تقول لو أن الله بعث نبيا، ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها، ولا أسمع لنبيها، ولا أشد تمسكا بكتابها منا، فأنزل الله فى سورة الأنعام، ﴿ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾ الآيـة ١٥٧، وفـى سـورة فاطـر ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾ الآية ٤٢، وفى سـورة الصافات ﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ الآية ١٦٧ - ١٧٠.

شبهات المكذبين بالرسول

قال الله تعالى ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٦٩ ، ٧٠.

تواصل الآيات قطع أعذار المكذبين، وتحاصرهم من كل جانب، وتذكر هنا موقفين يتعلقان بالرسول كما ذكرت فى الآية السابقة موقفين يتعلقان بالرسالة..

الموقف الأول هنا: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ﴾ فهل كان رسول الله غريبا عنهم، بعيدا عن ساحتهم، يجهلون نسبه وسلوكه وأخلاقه؟!

كلا لقد لقبوه بالصادق الأمين، وعرفوا طهر نفسه وعفاف خلقه وشمائل صفاته، ومكث فيهم أربعين سنة قبل النبوة لم يجدوا فيه مطعنا..

قال تعالى ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ يونس الآية ١٦ .

الموقف الثانى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾.

إن رسول الله أعقل الناس وأحكمهم، ولقد ارتضوه حكما بينهم حين اختلفوا فى وضع الحجر الأسود عندما جددوا بناء الكعبة، فكيف يتهمونه اليوم بالجنون وينسبونه إلى التخليط؟!

لقد جاءهم بما أعجز البلغاء، وفاق أحلام الفلاسفة، وشرع لهم ما فيه صلاح دينهم وحضارة دنياهم، وما يحقق لهم السعادة الكاملة..

إن الحقيقة الغائبة عن هؤلاء وأمثالهم فى كل عصر هى أن محمداً ﷺ جاء بالحق وصدق المرسلين..

والحق قد يكون مرا ينفر منه ضعاف النفوس وصغار الأحلام وأصحاب السلوكيات المشينة والموروثات البالية والعقائد الزائفة..

وجاء التعبير القرآنى ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ دقيقا بليغا، فأكثرهم للحق كارهون، لكن البعض منهم قبل الحق وآثره على ماله وولده والناس أجمعين، فكان السابقون فى الإسلام من وجهاء القوم وضعفائهم، ومن رجالهم ونسائهم على سواء..

ورفض البعض الحق ليس كراهة له، ولكن خشية من بأس الناس أو ملامتهم مثل أبى طالب الذى ناصر ابن أخيه ودافع عنه وتحمل الكثير فى سبيل حمايته ولكنه رفض أن ينطق بكلمة التوحيد عند موته خوفا من مقالة الناس..

شرف الحق وفساد الهوى

قال الله تعالى ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٧١.

لقد جاء الرسول ﷺ بالحق فى العقيدة والشريعة والأخلاق..

فكان التوحيد الخالص لله فى مقابل الإلحاد والشرك، وكانت الشريعة السمحاء بديلا عن قانون الغاب، وكانت الأخلاق العظيمة محل الجاهلية الجهلاء.. ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكمن الحق فى الإلحاد لأنه إهدار لكرامة العقل وامتهان لشرف الوعى الإنسانى، فكل ذرة فى الكون تنادى أن لها خالقا مبدعا حكيما، أعطى كل شىء خلقه ثم هدى..

ولا يعقل أن يكون الإله متعددا، فإن التعدد فساد للكون بأجمعه، ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء الآية ٢٢.

وتتهاوى بعد ذلك عقائد الحلول والاتحاد، واللاهوت والناسوت، فما كان لبشر أن يتجاوز حده فيصبح إلها أو جزء إله، أو فيه خاصة من خصائص الإله، فالله تعالى واحد أحد، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى الآية ١١.

وإن العـزوف عن شـرائع الله ،وانتحال قوانين بشـرية هو فسـاد عريـض، يجلب على النـاس الحروب والدمـار، ويدفعهم إلى انتهاك الأعـراض وتقطيع الأواصر، وقيام الحياة على صـراع المادة الذى يدمر كل شيء..

إن الإسـلام هو الحق والشرف، وليس بعد الحق إلا الضلال، وليس بعد الشرف إلا الذل والهوان..

إن العـالم اليـوم يئن من الخواء العقدى والأخلاقى، ويسـاق الناس إلى المصحـات العقلية، وتطحنهم الصراعـات العرقية، وتنقض عليهم أمراض الشذوذ والعلاقات الجنسية الآثمة..

وليس غير الإسلام دين أو قانون يحمى كرامة الإنسان ويصون حقوقه ويبنى شموخه العقلى، ويؤسس طهارة يقينه..

فمتـى تقف البشـرية وقفة تأمل مـع الذات وتتصالح مع الإسـلام وتحتكم إلى شريعة الله؟!.

الحق المبرأ

قال الله تعالى ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٧٢.

قام سيدنا محمد ﷺ بالدعوة، وتحمل أمانة الرسالة، ونادى بالإصلاح العام، ولم يكن يريد مغنما ولا يسعى إلى سلطة، فهو ﷺ مبرأ من كل غرض مادى، منزه عن كل هوى رخيص، وهو يبتغى وجه الله والدار الآخرة..

إن سيدنا محمدا لا يسأل الناس عطاء على نصيحته لهم ودعوته إياهم، وحرصه عليهم، فثواب الله خير، وعطاء الله أجزل، ورزق الله أوسع..

وهم مهما أعطوا فعطاؤهم قليل.. إنه مادى.. إنه فان.. إنه مقطوع.. أما عطاء الله فهو مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو عطاء متواصل غير مقطوع ولا ممنوع..

﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ البقرة الآية ٢٥.

وتحكى كتب السيرة أن قريشا عرضت على رسول الله ﷺ عرضا سخيًا لعله أن يكف عن دعوته، وأرسلوا إليه عتبة بن ربيعة وكان سيدا منهم، فجاء إلى رسول الله وقال له:

يـا ابـن أخى إن كنت إنما تريـد بما جئت به من هـذا الأمر مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا..

وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك..

وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا..

وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا [ما يتراءى للإنسـان من الجن] تراه، لا تسـتطيع رده عن نفسـك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيـه أموالنا حتى نبرئك منه..

فلما فرغ عتبة من عرضه قال له الرسول الكريم: فاستمع منى ثم قرأ عليه سـورة فصلت فرجع الرجل إلى قومه وقال: إنى سمعت قولا، والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة..

يا معشر قريش اطيعونى واجعلوها لى: خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ.

فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به..

❁ ❁ ❁

دعوة إلى الصراط المستقيم

قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٧٣ – ٧٤.

قطع القرآن كل مسالك الشبهة عند المنكرين لنبوة سيدنا محمد ﷺ، أكد أن هؤلاء المنكرين يتبعون أهواءهم التى تفسد ولا تصلح، وتهدم لا تبنى..

ثم جاء قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ حجة على هؤلاء، وبيانا لرسالة سيدنا محمد ﷺ..

فالإسلام هو الصراط المستقيم لا يعرف عوجا ولا أمتا، فهو الحق الواضح الجلى فى العقيدة، وهو العدل والإحسان فى التشريع، وهو الفضل والعظمة فى الأخلاق، وهو النبل والصفاء فى السلوك، وهو الخير والبر فى الأعمال..

قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ النحل الآيات ٨٩، ٩٠.

هذه هى دعوة الإسلام، فمن أنكرها تاه فى بيداء الحياة، وتنازعته الأهواء، وعاش مشتت الفكر، ممزق الشعور، مهموما مخذولا..

قال تعالى ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الإسراء الآية ٢٢.

فالمشرك متهم فى عقله ولن يجد له من دون الله نصيرا..

وقال جل شأنه ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الزمر الآية ٢٩.

فالمشرك تتفرق به السبل، وينتابه القلق ويعتصر قلبه الهم والغم..

أما المؤمن فهو مستجمع الفكر، مطمئن النفس، منشرح الصدر، واثق الخطى..

وإنما وصف القرآن هنا المنكرين لنبوة سيدنا محمد ﷺ، المكذبين برسالة الإسلام بأنهم لا يؤمنون بالآخرة.. لأن الإيمان بالآخرة لا ينفك عن الإيمان بالله، فمن أيقن بجلال الله وكماله أيقن بقدرته سبحانه على البعث والحساب والجزاء..

فإذا جاء إنسان وأنكر الآخرة وما فيها فقد أنكر وجود الله وجحد ربوبيته وألوهيته..

فهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة منحرفون عن جادة الطريق، تتقاذفهم سبل شتى، ويقفون حيارى أمام طرق متعددة، لا تصل بهم إلى النجاة ولا تحقق لهم الهدف السامى من الحياة..

التمادى فى الطغيان

قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٧٥.

اقتضت سنة الله تعالى أن يقف الحق أمام الباطل وجها لوجه فى مدافعة دائمة إلى يوم القيامة..

وكتب الله الغلبة لرسله وأوليائه، وحقت كلمة العذاب على الكافرين حالا أو مآلا..

ومكمن الخطر هو العناد الذى يسيطر على النفوس الكافرة، فلا يدع لها شعاع أمل، ولا يفتح عليها باب تأمل، ويتركها دائما فى غيبة عن الذات، وغفلة عن الحق، وبعد عن الوعى..

فهؤلاء المكذبون برسالة سيدنا محمد ﷺ قد لزمتهم الحجة وقام عليهم البرهان، ومع ذلك رفضوا الإيمان فأخذهم الله بذنوبهم فى الدنيا قحطا وبلاء ومصيبة، وسيأخذهم فى الآخرة نكالا وعذابا وهوانا..

وفى كلا الحالين يظل العناد مسيطرا عليهم، ويظل الكبر مانعا لهم من قبول الحق، وقد أكد القرآن سيطرة العناد على هؤلاء، وإغلاقه لمنافذ الوعى والعقل لديهم حين قال فى سورة الأنعام:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنعام الآية ٢٧.

فهؤلاء عاينوا العذاب وأشرفوا على الهلاك ووقفوا على النار، وتمنوا الرجعة إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم وليصححوا أخطاءهم وليؤمنوا بما كذبوا به من قبل..

ومع ذلك تشتد وطأة العناد على قلوبهم وعقولهم فلا يؤمنون، قال تعالى ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأنعام الآية ٢٨.

إن الإنسان فى حياته يمر بمنح ومحن، والعاقل هو الذى يشكر عند الرخاء ويتضرع عند البلاء، ويعرف فضل الله عليه فى الموقفين..

فالرخاء والبلاء موقفان للفتنة، وليس أحدهما بأولى من الآخر فى حياة الإنسان على هذه الأرض.. قال تعالى ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ الأنبياء الآية ٣٥.

وحياة المرء لا تنفك عنهما، لكن الإنسان عجول، تطغيه النعمة وتنسيه النقمة، فيفرح أطرا بالخير ويجزع كمدا بالشر..

والإيمان بالله والاستعانة بالصبر والصلاة هو سبيل النجاة والفوز فى الدنيا والآخرة.. قال تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المعارج الآيات من ١٩ – ٢٢.

الوقائع تتكلم

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٧٦ - ٧٧.

حكم القرآن فى الآية السابقة بتمادى المكذبين فى طغيانهم مع حلول النكبات بهم ومصائب الزمن عليهم..

وهنا يقدم الدليل من واقع حياتهم وما نزل بهم.. لقد أخذ الله قريشا بعذاب بئيس، فأصابهم القحط والجدب، ومنع عنهم القطر، وتقطعت علاقاتهم الاقتصادية بأهل اليمامة عندما أسلم ثمامة بن آثال وقال لأهل مكة: والذى نفسى ثمامة بيده لا تأتيكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ، فجهدت قريش وكتبوا إلى رسول الله يسألونه بأرحامهم إلا كتب إلى ثمامة يخلى لهم حمل الطعام، ففعل ذلك رسول الله ﷺ..

وأخرج البخارى بسنده عن ابن مسعود قال: إن قريشا لما استعصوا على النبى ﷺ دعا عليهم بسنين كسنى يوسف، فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ

﴿ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ الدخان الآية ١٠، فأُتى رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، فاستقى فسقوا فنزلت. فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الدخان الآية ١٦، يعنى يوم بدر..

فلم يفلح هذا العذاب العاجل فى حملهم على الانصياع للحق والانقياد للوحى المحمدى على رغم وضوح الحجة وقطعية الرهان.. فماذا ينتظرون؟!.

لقد توعدهم الله بعذاب شديد فى الدنيا قبل الآخرة يجعلهم مبلسين آيسين من كل خير، متحسرين بلا أمل..

وهذا العذاب الشديد هو ما أصابهم يوم بدر، حين قتل سبعون من أئمة الكفر، على رأسهم أبو جهل، وأسر سبعون آخرون، وما من أهل بيت فى مكة إلا حلت بهم مصيبة..

وتوالت عليهم هزائم منكرة انتهت بفتح مكة ودخول الناس فى دين الله أفواجا..

والعذاب الشديد فى الآخرة لمن مات على الكفر هو عذاب النار وبئس المصير.. قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الروم الآيات من ١٢ - ١٤.

إن الإبلاس هو اليأس والقنوط، وهؤلاء قد يئسوا من الثواب والنعيم، ولن ينقطع عنهم العذاب فى الجحيم.. قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ الزخرف الآيات ٧٤، ٧٥.

obeikandl.com

(ب) حوار حول العقيدة الإسلامية

- وسائل المعرفة
- غاية الخلق
- الحياة والموت
- تقليد وجهل
- دلائل أرضية
- دلائل سماوية
- دلائل التدبير الإلهى
- تكذيب للحق
- دلائل الوحدانية

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾
بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا
مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ
وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم
بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ
مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ
سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٧٨ – ٩٢.

وسائل المعرفة

قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٧٨.

تبين هذه الآية عطاء الله للإنسان فى مجال العلم والمعرفة، لقد منح الله الإنسان سمعا وبصرا وفؤادا، فهذه وسائل المعرفة الحسية والعقلية..

والسمع فى البيان القرآنى مقدم إيجابا وسلبا، وعندما سلب الله عن المنافقين والكافرين انتفاعهم بوسائل المعرفة قدم السمع فقال ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ البقرة الآية ١٧١.

وحين يقف الكافرون موقف الندامة يوم القيامة يتحسرون على عدم انتفاعهم بوسائل المعرفة فيقدمون السمع ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ الملك الآية ١٠.

ثم إن السمع فى الإنسان أسبق وجودا، فالطفل يسمع قبل أن يرى، والسمع يستوعب الجهات كلها أما البصر فمحدود بجهة الأمام وبشروط معينة..

والإنسان يسمع من مسافة أكبر من مسافة الرؤية..

والإنسان يسمع فى أوقات الظلمة وأماكنها التى تزيد على أوقات النور وأماكنه..

ومن جهة أخرى فإن السمع مقدم فى باب الأسماء الحسنى لله تعالى كما فى قوله جل شأنه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ ﴾ البقرة الآية ١٨١، وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحج الآية ٧٥.

والأنبياء سمعوا كلام الله دون أن يروا ذاته العلية، قال سبحانه ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ الشورى الآية ٥١.

والإنسان السوى هو الذى ينتفع بنعم الله انتفاعا صحيحا ويشكر المنعم سبحانه بالإقرار بربوبيته وألوهيته والولاء لمنهجه وشريعته، لكن هذا الصنف من البشر الذين عقلوا وآمنوا قليلون، أما الكثرة الكاثرة فلم ينتفعوا بوسائل المعرفة الانتفاع الذى يصل بهم إلى الحق فى الاعتقاد، والخير فى السلوك، وبالتالى فقد ضاعت عليهم الفرصة وفقدوا أثمن ما فى الوجود وأعز ما فى الحياة ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الأحقاف الآية ٢٦.

غاية الخلق

قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٧٩.

خلق الله الإنسان فردا واحدا هو آدم عليه السلام ثم خلق منه زوجه حواء، ثم تكاثرت الذرية وانتشرت، وتباعدت الأماكن واختلفت، وتعددت الألوان واللغات وتنوعت.. قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات الآية ١٣.

وتوالت البشرية جيلا بعد جيل، تواصل مسيرة الحياة، وقد هيأ الله لها كل الأسباب، وذلل لها كل الصعاب، ومهد لها كل شيء..

وكانت الأرض مستقرا ومستودعا، يقيم الإنسان على ظهرها فى حياته، ويدفن فى باطنها بعد مماته..

لكن هل تنتهى قصة الإنسان بالقبر؟!.

إن الموعد الله، ولن تكون الحياة عبثا، وإنما الغاية الكبرى هى البعث والحساب والجزاء، وهذا ما يحتم على الإنسان الولاء لله ورسوله، والحفاظ على منهج الوحى الإلهى، والالتزام الأمين بشرائع التنزيل..

والحشـر إلى الله لا يعنى الحشـر إلى مكان يحـدد ذات الله ويحوى حقيقته القدسية، فالحياة مع الله والممات إلى الله، وكل شيء بالله ولله..

وإنمـا المراد بالحشـر إلى الله البعث يوم القيامة حيـث ينفرد المولى سـبحانه بالملك باطنا وظاهرا، ويقف ملوك الدنيا وسلاطين هذه الحياة مواقف العبيد أمام ملك الملوك الذى ينادى ويقول: لمن الملك اليوم؟

يأتى الجواب من كل جانب «لله الواحد القهار».

وقد أخرج مسلم فى صحيحه أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك.. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟

وفى رواية أن أبا هريرة ﷺ كان يقول: قال رسول الله ﷺ يقبض الله تبـارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوى السـماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك.. أين ملوك الأرض؟!!

الحياة والموت

قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٨٠.

من خصائص الربوبية أن الله وحده يمنح الحياة لمن يشاء، ويمنعها عمن يشاء، وحدد لكل كائن أجلا مسمى، لا يستقدمه ولا يستأخره..

ولا ينازع فى ذلك إلا مكابر يخدع نفسه ويمتهنها..

وهناك آية من آيات الله تشبه الحياة والموت، إنها آية الليل والنهار، فالليل يشبه الموت بظلمته، والنهار يشبه الحياة بحركتها.. وهما متعاقبان لمصلحة الإنسان، ويتوارد عليهما النقص والزيادة لمنفعة الحياة، قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ الإسراء الآية ١٢.

وعندما حاج الملك الطاغية وجادل إبراهيم الخليل فى ربه، وجرى بينهما حوار عام حول دلائل الربوبية، قدم إبراهيم عليه السلام الحياة والموت ثم عقب بالشمس التى ترتبط بالليل والنهار، قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى

بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة الآية ٢٥٨.

لقد قدم الطاغية صورة باهتة فأتى برجلين محكوم عليهما بالإعدام فعفى عن أحدهما وأعدم الآخر، وظن كاذبا أن ذلك خلق للحياة وخلق للموت، وكان الحوار أمام الجماهير الغوغاء التى لا تحسن التأمل فانتقل إبراهيم عليه السلام بسرعة إلى موقف آخر صريح وأمره بتغيير نظام الكون وتبديل سننه، فبهت الذى كفر وانقطعت حجته وغاب وعيه لأنه لا يستطيع الادعاء بأن له تصريفا فى الكون فقد كانت الشمس قبل أن يولد هذا الطاغية، ثم أين هو الآن؟ ولماذا لم يحتفظ لنفسه بالحياة ويمنعها الموت ويكتب لها الخلود؟

ما أكذب المستكبرين فى الأرض وما أظلمهم!!

إننا فى حاجة إلى نظرة تأمل وتعقل كى نصحح العقيدة ونستقيم على الخلق ونسعى إلى الخير، وبذلك نسعد فى الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

تقليد وجهل

قال الله تعالى ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣) ﴾ المؤمنون الآيات من ٨١ – ٨٣.

قامت دعوة الأنبياء جميعا على تأكيد عودة الناس بعد الموت، وحسابهم بعد البعث، وجزائهم بالجنة أو النار فى دار الخلود الأبدى..

وعلى ذلك قامت دعوة سيدنا محمد ﷺ، فوعد وأوعد، وبشر وأنذر، وبرهن ودلل على البعث والحساب والجزاء..

لكن المشركين رفضوا الإيمان بقضية البعث تقليدا وجهلا، فرددوا مقالة السابقين: أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون، واستبعدوا الإعادة بعد أن يصيروا ترابا وعظاما، وتناسوا أن الإعادة أهون من الخلق، وأنهم مروا فى النشأة الأولى بمراحل النطفة والعلقة والمضغة والعظام، ومع ذلك صاروا بشرا عقلاء يملأون الدنيا صياحا وصراخا وجدلا..

ثم إن هؤلاء الرافضين للإعادة المنكرين للبعث ظنوا جهلا أن الإعادة تكون فى هذه الدنيا وهم لم يشاهدوا ميتا خرج من قبره، ووصفوا مقالة الأنبياء حول البعث والجزاء بالخرافة وأنها ترديد لأساطير الأولين..

فالأساطير جمع أسطورة، وهى الشيء لا حقيقة له..

ألا ما أجهل هؤلاء المنكرين- وما أضل تفكيرهم..!!

لقد جاء أحدهم إلى الرسول ﷺ ومعه عظم إنسان ميت ففتته وذراه فى الهواء وقال: يا محمد أترى أن الله يحيى هذه؟

فقال عليه الصلاة والسلام: نعم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار ونزل قوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ يس الآيات من ٧٨ - ٨٣.

إن الإعجاز الخلقى فى الإنسان يفوق كل تصور، والقادر على هذا الخلق قادر على إعادته، وإذا كان الشيء يخرج من ضده، فالنار تخرج من الشجر الأخضر فمن باب أولى يخرج الشيء من ذاته ويعود الإنسان بعد أن يصير عظاما ورفاتا، والذى أبدع الأعظم من السماء والأرض.. يستطيع أن يبعث الإنسان ذلك المخلوق الضعيف..

قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ غافر الآية ٥٧.

دلائل أرضية

قال الله تعالى ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٨٤، ٨٥.

تسوق الآيات هنا دلائل القدرة الإلهية المبدعة، كي يقر الإنسان بوحدة الخالق واستحقاقه للعبادة، وتفرده بالسلطان وقدرته على البعث والحساب..

وتساءلت مع هؤلاء المشركين المنكرين للبعث: ﴿ لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ لقد اهتم القرآن كثيرا بالأرض ومن عليها وما تحوى من آيات باهرات، فتحدث عن مائها ملحة وعذبة، وذكر بما فيه من نعم شتى وثروات معدنية وحيوانية فقال ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ فاطر الآية ١٢.

وتحدث القرآن عن نبات الأرض واختلاف أشكاله وأحجامه وطعومه وروائحه فقال ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ

مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ الرعد الآية ٤.

وتحدث القرآن عن جبال الأرض وشموخها وطبقات الأرض وعجائبها فقال ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ النحل الآيات ٥ – ٨.

وهكذا تدعونا هذه الآيات إلى التأمل فى تلك القدرة الإلهية المبدعة التى أتقنت كل شىء وأحكمته إحكاما..

فهل هناك أحد غير الله يدعى هيمنةً على الأرض وتصريفا لشئونها وإبداعا لكائناتها؟

﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ النمل الآية ٦١.

إن المنطق الصادق والجواب الصحيح أن الله وحده هو المالك الخالق المهيمن، والإنسان يقر بهذه الحقيقة كرها وطوعا، ويؤكدها حالا فعالا، ويرددها صمتا وصوتا، ويعقلها فكرا ووعيا ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٨٥.

دلائل سماوية

قال الله تعالى ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ المؤمنون الآيتان ٨٦، ٨٧.

تواصل الآيات عرضها لدلائل القدرة الإلهية فتتساءل مع المشركين عن السموات السبع والعرش العظيم، من المهيمن والمدبر والمبدع والخلاق العظيم؟!

إن آيات الآفاق أكثر من أن تحصى وتعد، ولقد لفت القرآن أنظار البشر إلى نواميس كونية وأجرام فلكية وحقائق عليا تدفع الإنسان دفعا إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين، والإقرار بالبعث والحساب والجزاء..

فتحدث القرآن عن بناء السماء وضخامتها وشموخها وكواكبها ونجومها فقال ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾ النازعات الآية ٢٧ – ٢٩.

وتحدث القرآن عن تعدد السموات وامتدادها واتساع أرجائها وارتباطها بالأرض وتفاعلها معها فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ الطلاق الآية ١٢

وتحدث القرآن عن ظواهر فلكية كالرعد والبرق والسحاب والمطر.

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ الرعد الآيات ١٢- ١٣.

أما العرش فللعلماء فيه رأيان: أحدهما أنه البناء المستوى الخالى من العيوب البالغ حد الروعة فى الكواكب والنجوم والشجر والدواب فهذا هو المشاهد الذى يدخل فى باب الدلالة على جلال الله وكماله، فإن كل بناء يسمى عرشا كما فى قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ النحل الآية ٦٨.

الثانى أنه مخلوق أعظم من السموات والأرض لا يخضع للإدراك البشرى فهو أمر سمعى، ويستدل على هذا المعنى بمثل قوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾ الزمر الآية ٧٥، وقوله صلى الله عليه وسلم «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله».

وأيا ما كان فإن المراد هو الدلالة على عظم القدرة الإلهية وجلالة السلطان الإلهى وأنه سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة..

❁ ❁ ❁

دلائل التدبير الإلهى

قال الله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٨٨، ٨٩.

خلق الله الكون ودبر شئونه، وأبدع الكائنات وألهمها مسيرة حياتها.. والملكوت هو الملك على سبيل المبالغة، فهو أعم منه وأوسع، ويشمل ما يرى وما لا يرى..

وتدبير الله متواصل لا ينقطع، وخلق الله متجدد لا يتوقف ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ الرحمن الآية ٢٩، وتتنزل الآية التى معنا من فسيح الكون وعلياء الملكوت لتمس حقيقة إنسانية لا يكاد ينفك عنها بشر، وهى أن الله تعالى يجير ولا يجار عليه، أى أن الله تعالى يغيث المستغيثين ويجيب المضطرين ويلبى دعاء المتوسلين ويمنح السائلين وتتواصل رحمته على عباده أجمعين..

وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له، وما لهم من دونه من وال، ولا يملكون شفاعة، ولا يستطيعون صرفا ولا نصرا..

قال تعالى ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ فاطر الآية ٢.

وإذا كان الجواب الصحيح لكل التساؤلات التى طرحتها الآيات هو إضافتها إلى الله وحده فكيف ينساه المرء أو يغفل عنه؟ ولماذا لا يتخذ وسيلة قربى إلى الله، ووقاية من عذابه؟ ولماذا ترك نفسه فريسة للهوى والشيطان يخدعه عن الصراط المستقيم؟!

وقد جاء قوله تعالى ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ عقب آيات الأرض، وقوله تعالى ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ عقب آيات السماء، وقوله تعالى ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ عقب آيات التدبير، لحكمة بالغة، فالأرض أقرب إلى التذكير، والسموات أبلغ فى التقوى، وتأمل التدبير الإلهى أقوى فى التغلب على السحر والخداع..

فالإنسان يعيش على الأرض ويمسى ويصبح فى أحضانها فينبغى أن يتذكر وحدانية الله فى الخلق وقدرته على البعث، ثم إن السموات أكبر من خلق الناس وأعظم من كل ما حوله فهى أبلغ فىدفع الإنسان لاتخاذ الوقاية وإعداد النفس للطاعة والاستقامة، ثم إن للمرء فى التدبير الإلهى لذات نفسه والكائنات حوله لأمرا عجبا يمنحه أقوى الحجج والبراهين على الوحدانية والبعث فلا يستطيع أحد أن يخدعه عن هذه الحقيقة الواضحة..

﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ الأنعام الآية ٩١.

تكذيب للحق

قال الله تعالى ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٩٠.

لقد جاء سيدنا محمد ﷺ بالحق وصدق المرسلين، وناصر الفضيلة ودعا إلى الخير.. أما المشركون فهم كانبون مكذبون، إنهم حين يرفضون الوحى المحمدى لا ينتصرون لحق ولا يدافعون عن قيم ولا يسلكون مسالك الرشاد..

إنهم كاذبون فى كل دعوى يتقولونها حول الرسالة والرسول..

لقد كذبوا حين قالوا:

﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ ص الآية ٥.

وحين قالوا:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر الآية ٣.

ولقد كذبوا حين ادعوا:

﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ ﴾ النحل الآية ١٠٣.

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ الفرقان الآية ٤.

﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ الأسراء الآية ٤٧.

لقد كذبوا حين زعموا:

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ الجاثية الآية ٢٤.

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ الإسراء الآية ٤٩.

والكذب هو شر ما يبتلى به الإنسان، وهو يمتد ليشمل العقائد والسلوك..

والكذب قبيح غاية القبح لأنه رفض للحق وتمرد على الصدق وانحراف عن الحسني..

قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ العنكبوت الآية ٦٨.

وقال جل شأنه ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الزمر الآية ٣٢.

فعاقبة تكذيب الحق ورد الصدق هي أسوأ العواقب في الدنيا والآخرة، وحسب الكاذب جهنم يلتقي فيها مع كل من ستر الحق، يصلاها مذموما مدحورا..

وقد توعد الله الكاذبين بالعسر في حياتهم كلها، فلا يفتحون بابا إلا ويغلق، ولا يلجأون إلى طريق إلا ويسد، ولا يبدون عملا إلا ويتوقف، ولا يفكرون إلا وتتشتت بهم الأهواء ولا يفلحون أبدا.. قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ ﴾ الليل الآيات من ٨ – ١١.

دلائل الوحدانية

قال الله تعالى ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٩١، ٩٢.

الكون كله والملكوت بأجمعه صنع الله وحده، وتدبير إله واحد حكيم مبدع، له القدرة المطلقة والسلطان القاهر والحكمة البالغة.. وإذا ساءلنا الباحثين فى علوم الطبيعة والفلك والأحياء على تعددها وتنوعها، عن النواميس الكونية لأكدوا بلسان اليقين الكامل أنها فى دقة دقيقة وعلى نظام بديع وبضوابط يعجز العقل البشرى عن الإحاطة بها..

وصدق الله حيث يقول: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ الملك الآية ٣.

فوجود الخلق دليل على وجود الخالق، واستقامة الخلق دليل على وحدة الخالق، لكن الناس انحرف بهم الهوى فاتخذوا لله أندادا، واخترعوا له أولادا، وما قدروا الله حق قدره حين قالوا بالحلول أو الاتحاد أو التشبيه أو غير ذلك مما يتنافى مع الجلال والكمال والجمال الإلهى..

إن اتخاذ الولد نقص، وإن تعدد الآلهة عجز، وإن إنكار الألوهية ضلال مبين..

لقد ساقت الآية هنا دليلا فطريا بدهيا حين قالت ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾.

إن ملوك الدنيا فى تنازع دائم وشقاق مستمر، والتاريخ الإنسانى تاريخ حروب وزعامات ترتفع وتهوى، وملوك يعزون ويذلون، وحضارات سادت ثم بادت، ودول قامت ثم سقطت.. وهكذا دواليك..

ثم نبهت الآية إلى جانب مهم يؤكد الفارق بين الإله الحق وبين الآلهة المزعومة، فالغيب كله لله، غيب الماضى والحاضر والمستقبل، ولا تتكامل المعرفة لبشر ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسف الآية ٧٦، فمن يتطاول إلى مشاركة الله فى ملكه، أو إلى مشابهة الله فى صفاته، أو إلى منازعة الله فى سلطانه؟!

ويوم ادَّعى فرعون أنه الرب الأعلى سقط غريقا بلا منقذ، ثم لفظه البحر ببدنه ليكون عبرة للأولين والآخرين، وحين ادعى النمرود أنه يحيى ويميت كذب على نفسه قبل أن يكذب على غيره، وإلا فأين هو الآن؟! والذين يزعمون معرفة الغيب بالسحر والكهانة والتنجيم يخدعون أنفسهم أولا، فهم أشقى الناس ولا يدفعون عن أنفسهم مرضا ولا فقرا ولا موتا..

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ النمل الآية ٦٥.

(جـ) العاقبة للمؤمنين

- الحكم لله وحده
- أدب الدعوة
- همزات الشياطين

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي
ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل
رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن
يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٩٣ – ٩٨.

الحكم لله وحده

قال الله تعالى ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٩٣ – ٩٥.

جرت سنة الله مع أنبيائه أن تكون العاقبة لهم وأن ينصرهم على عدوهم، كما قال جل شأنه، «﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ الصافات الآيات من ١٧١ – ١٧٣، وسيدنا محمد ﷺ على شاكلة إخوانه من النبيين والمرسلين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده، فآمن به من آمن وكفر به من كفر..

فإذا طال عناد المكذبين واستمرأوا الاستهزاء بالحق فماذا ينتظرون؟ إن بأس الله الذى لا يرد عن القوم المجرمين لابد أن يحيق بهم، وقد يمتد العذاب إلى من ركن إليهم ومالأهم وسكت على غيهم..

ولهذا علم القرآن المجيد الرسول ﷺ أن يستشعر دائما مقام العبودية الضارعة أمام الله عز وجل فقال ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٩٤.

وهذا فى الحقيقة تعليم لنا وتوجيه، فإذا كان الرسول وهو المعصوم وصاحب الدعوة والمنصور بالله يطالب بأن يدعو الله أن يباعد بينه وبين القوم الظالمين وأن يستعين بالله على ذلك فنحن- المعترفين بالذنب المقصرين فى الطاعة - أولى وأحق..

والآية هنا تهديد بليغ للمكذبين فإن وقوع العذاب عليهم أقرب من لمح البصر، فقد يأخذهم الله بياتا وهم نائمون أو يأخذهم ضحى وهم فى أنديتهم ساهون، أو يفاجئهم العذاب وتتوالى عليهم المصائب من حيث لا يشعرون، والله تعالى لا يعجل بعجلة أحد، وقد جعل لهلكهم موعدا لا ترده قوة ولا تمنعه شفاعة ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

لقد أخذ الله قريشا بسنين كسنى يوسف قحطا وجدبا وبلاء حتى أكلوا العظم والشجر، وهزمهم هزيمة منكرة فى بدر الكبرى، ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا فى غزوة الأحزاب، وفتح الله لرسوله فتحا مبينا ودخل المسجد الحرام بأصحابه محلقين ومقصرين لا يخافون عام عمرة القضاء، ثم جاء نصر الله ودخل الناس فى دين الله أفواجا وحطم الرسول أصنام قريش فى العام الثامن للهجرة وارتفع من فوق ظهر الكعبة نداء الحق وانتشر نور الله فى الآفاق..

أدب الدعوة

قال الله تعالى ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٩٦.

تأمر الآية الكريمة رسول الله ﷺ أن يصبر ويصابر فى سبيل الدعوة إلى الله، فيتعامل مع أعدائه بالحسنى التى تعنى احتمال الأذى، وبيان الدليل، وملاحظة الحديث ما لم يؤد ذلك إلى نقص دين أو ضياع حق أو انتهاك حرمة..

إن التعامل بالحسنى يدفع العدو العاقل إلى التأمل والتريث وفطام النفس عن مواصلة الأذى، ومراودتها عن الإيمان..

وقد جاء هذا المعنى مؤكدا ومكررا فى القرآن المجيد فى عهديه المكى والمدنى، وسمى بالهجر الجميل والصفح الجميل والجدال بالتى هى أحسن والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ المزمل الآية ١٠، أى لا عتاب فيه.

وقال جل شأنه ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الحجر الآية ٨٥، وهو تجاوز الذنب والإحسان إلى المسىء. وقال سبحانه

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ العنكبوت الآية ٤٦، أى بالرفق واللين وحسن الخطاب.

وقال عز اسمه ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ النحل الآية ١٢٥، والحكمة هى إصابة الحق وفعل الخير..

والمسلم مطالب بالدفع بالتى هى أحسن فى الدعوة والسلوك والمعاملة، وذلك بأن يعفو عمن ظلمه وأن يصل من قطعه وأن يعطى من حرمه وأن يحسن إلى من أساء إليه، فالأخلاق هى ثمرة العبادات كلها، وفى حديث رواه الترمذى قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا».

وفى الصحيح أن النبى ﷺ قال: «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله» وفى رواية «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه» وفى رواية «إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إلا شانه».

ولا يعنى ذلك أن المسلم يرضى بالهوان، ويقيم على الضيم، ويضيع حقوقه بل إن المسلم حكيم يعرف متى يحمل السيف ومتى تنفع الكلمة ويعرف متى يصول ويجول ومتى يناقش ويجادل، ويعرف متى يغضب ويثور ومتى يلين ويرحم.. فلكل مقام مقال ولكل حادثة حديث، ولكل حال ما يناسبها..

همزات الشياطين

قال الله تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٩٧، ٩٨.

إن الشيطان متربص ببنى آدم، يثير بينهم الفتنة، ويدفع بهم إلى العدوان، ويصرفهم عن الحق ويدعوهم إلى الفحشاء والمنكر والبغى..

والهمزات جمع الهمزة وهى الدفع والتحريك بشدة، وهمزات الشياطين تكون بإحدى وسيلتين:

١ - الوسوسة بأن ينفث فى روع الإنسان المؤمن عوامل الغضب ويبث فيه الرغبة فى الانتقام، ويدفعه إلى عنف القول والسلوك.

وهذه الوسيلة الشيطانية يمكن التغلب عليها بذكر الله والوضوء والثقة فى نصر الله والطمع فى ثوابه تحقيقا لقوله تعالى ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران الآية ١٣٤.

٢ - دفع الأعداء إلى مواصلة الاعتداء وتزيين القبيح من أعمالهم التى تسىء إلى الآخرين كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ مريم الآية ٨٣، أى تغريهم بالمعصية وتدفعهم إلى إيذاء المسلمين..

ويمكن التغلب على هذه الوسيلة الشيطانية بمداراة الأعداء وملاطفتهم بما لا يقدح فى الدين أو إعداد العدة لمقاومتهم وجهادهم بالنفس والنفيس..

وفى كلا الحالين فالمسلم مطالب بالاستعاذة بالله من همزات الشياطين فى حياته كلها، وقد جاء الأمر بالاستعاذة عند قراءة القرآن فقال تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ النحل الآية ٩٨.

وإذا دخل المسلم المسجد قال «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم» روى ذلك أبو داود.

وإذا أوى المسلم إلى فراشه قال: «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» كما رواه أيضا أبو داود.

ويحصن المسلم أولاده بما حصن به النبى ﷺ الحسن والحسين فكان يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة». كما رواه البخارى، بل إن المسلم مطالب عند معاشرة زوجه أن يقول: «باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا»، كما رواه البخارى.